بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما • ونزله بحسب المصالح منجما • وجعله بالتحميد
مفتتحا وبالاستعاذة مختتما • واوحاه على قسمين متشابها ومحكما • وفصله سورا وسوره آيات •
وميز بينهن بفصول وغايات • وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع • وسمات منشئ مخترع • فسبحان من
استأثر بالاولية والقدم • ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم • انشأه كتابا ساطعا تبيانه •
قاطعا برهانه • وحيا ناطقا ببينات وحجج • قرآنا عربيا غير ذي عوج • مفتاحا للمنافع
الدينية والدنيوية • مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية • معجزا باقيا دون كل
معجز على وجه كل زمان • دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان • افحم به من طولب
بمعارضته من العرب العرباء • وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء • فلم يتصد للاتيان
بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم • ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم
على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء • واوفر عددا من رمال الدهناء • ولم ينبض منهم عرق العصبية
مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة • والقائهم الشراشر على المعازة
والمعارة • ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط • وركوبهم في كل ما يرومونه
الشطط • ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر • وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر • وقد
جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا • فلم يعارضوا الا السيف وحده • على ان السيف
القاضب مخراق لاعب • ان لم تمض الحجة حده • فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا
لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب • وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب •
والصلاة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هاشم • ذي اللواء المرفوع في بني لؤي • وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي •
المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة • الشادخ الغرة • الواضح التحجيل • البشير النذير الامي المكتوب
في التوراة والانجيل • وعلى آله الاطهار • اعلم ان متن كل علم وعمود كل
صناعة طبقات العلماء فيه متدانية • واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية •
ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة • او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه
الا بمسافة قصيرة • وانما الذي تباينت فيه الرتب • وتحاكت فيه الركب • ووقع فيه
الاستباق والتناضل • وعظم فيه التفاوت والتفاضل • حتى انتهى الامر الى امد من
الوهم متباعد • وترقى الى ان عد الف بواحد • ما في العلوم والصناعات من محاسن
النكت والفقر • ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر • ومن غوامض اسرار
محتجبة وراء استار • لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم • والا واسطتهم وفصهم •
وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم • عناة في يد التقليد لا يمن
عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم • ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح • وانهضها بما
يبهر الالباب القوارح • من غرائب نكت يلطف مسلكها • ومستودعات اسرار
يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه • واجالة النظر فيه كل ذي علم كما
ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن • فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى

والاحكام

والاحكام • والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام • وحافظ القصص والاخبار وان
كان من ابن القرية احفظ • والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ • والنحوي وان كان انحى
من سيبويه • واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه • لا يتصدى منهم احد لسلوك
تلك الطرائق • ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق • الا رجل قد برع في علمين مختصين
بالقرآن • وهما علم المعاني وعلم البيان • وتمهل في ارتيادهما آونة • وتعب في التنقير
عنهما ازمنة • وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله • وحرص على
استيضاح معجزة رسول الله • بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ • جامعا بين امرين
تحقيق وحفظ • كثير المطالعات • طويل المراجعات • قد رجع زمانا ورجع اليه • ورد
ورد عليه • فارسا في علم الاعراب • مقدما في حملة الكتاب • وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة
منقادها • مشتعل القريحة وقادها • يقظان النفس • دراكا للمحة وان لطف شأنها •
منتبها على الرمزة وان خفي مكانها • لا كزا جاسيا • ولا غليظا جافيا • متصرفا ذا دربة
باساليب النظم والنثر • مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر • قد علم كيف يرتب
الكلام ويؤلف • وكيف ينظم ويرصف • طالما دفع الى مضايقه • ووقع في مداحضه
ومزالقه • ولقد رأيت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين
بين علم العربية • والاصول الدينية • كلما رجعوا الي في تفسير آية فابرزت
لهم بعض الحقائق من الحجب • افاضوا في الاستحسان والتعجب • واستطيروا شوقا
الى مصنف يضم اطرافا من ذلك • حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف
عن حقائق التنزيل • وعيون الاقاويل في وجوه التأويل • فاستعفيت فابوا
الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين • وعلماء العدل والتوحيد • والذي
حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان
الخوض فيه كفرض العين • ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله • وركاكة
رجاله • وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس
على علمي المعاني والبيان • فامليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام
في حقائق سورة البقرة • وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب • طويل الذيول والاذناب
وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم • وان يكون لهم منارا ينتحونه
ومثالا يحتذونه • فلما صمم العزم على معاودة جوار الله • والاناخة بحرم الله
فتوجهت تلقاء مكة • وجدت في مجتازي في كل بلد من فيه مسكة من اهلها
وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه
حراصا على اقتباسه • فهز ما رأيت من عطفي • وحرك الساكن من نشاطي • فلما
حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية • الامير
الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام
الله مجده • وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم
اعطش الناس كبدا • والهبهم حشا • واوفاهم رغبة • حتى ذكر انه كان يحدث
نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي
وطي المهامه • والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض

Copyright King Saud University